نحب البيئة و نحافظ عليها

٥

الرحمة بالحيوان

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

هذا لا يَجُوزُ أبداً!!

بيْنَما كان (أيهمُ) يشاهِدُ مع أَصْدقائِه (أمجد وأنور وإحْسان) بَرْنامجاً يَخْتَصُّ بأمورِ الرِّياضةِ ، إذ أَعْلَنَ المُذِيعُ عن تَوْقِيتِ مُبارياتِ الصِّراعِ بين الدِّيكةِ!!

فقال (إحسان): إنَّ التَّحريشَ بين البَهَائمِ حَرامٌ ، وذلك لأنَّه يُؤَدِّي إلى الإيْذاءِ والمَوْتِ.

وبعدَ قَليلٍ دَخَلَ (أبو أنس) والدُ أَيْهم إلى صالُونِ المَنْزِلِ ، ولمَّا رأى ابنَه (أيهمَ) وأَصْدِقاءَهُ ، أقبلَ عليهم ، ورَحَّبَ بهم ، وسَأَلهمْ عَنِ المَدْرسةِ والأَهلِ.

ودَعاهُ الشَّبابُ لِلْجُلُوسِ معهم ، وتَناوُلِ القَهْوةِ ، وبَعْدَ قليلٍ راحَ التِّلْفزيُونُ يَنْقُلُ مُبارياتِ الدِّيكةِ.

فقالَ (أبو أنس): هذهِ ليستْ رِياضةً ، إنَّما هذه من أَنْواعِ الأَذَى ، والذي حَرَّمَهُ الإسْلامُ ، وقد قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ عنهما: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عن التَّحريشِ بين البهائمِ».

وروى ابنُ عَبَّاسٍ أيضاً فقالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَتَّخِذُوا شيئاً فيه الرُّوحُ غَرَضاً».

بل إنَّ الرَّسولَ ﷺ ذهبَ إلى أبعد من ذلكَ ، فقالَ: «مَنْ قَتَلَ عُصْفُوراً عَبَثاً عَجَّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ يومَ القِيامةِ ، يقولُ: يا ربِّ! إنَّ فُلاناً قَتَلَني عَبَثاً ولم يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ».

فقالَ (أنورُ): بارِكَ اللهُ بكَ يا أبا أنس ،

والمسلمُ مُطالَبٌ بأنْ يَحْمِلَ الرَّحمةَ لكلِّ خَلْقِ اللهِ ، ومنها الرَّحْمَةُ بالحَيَواناتِ.

وقد سَمِعْنا يوماً ما من خَطِيبِ المَسْجِدِ حَدِيثاً نَبويّاً يقولُ فيه رسولُ اللهِ ﷺ: «بينما رَجُلٌ يَمْشِي بطريقٍ اشتدَّ عليه العَطَشُ ، فوجدَ بِئْراً ، فنزلَ فيها فَشَرِبَ ، ثمَّ خَرَجَ ، فإذا كلبٌ يَلْهَثُ ، يأكلُ الثَّرىٰ من العَطَشِ ، فقال الرَّجلُ: لقد بَلَغَ هذا الكَلْبُ من العَطَشِ مثل الذي كان بَلَغَ منِّي ، فنزلَ البِئْرَ ، فملأ خُفَّه ماءً ، ثم أَمْسكَهُ بفَمِه حتى رَقِي ، فسقى الكلبَ ، فشكرَ اللهُ له ، فَغَفَرَ له».

قالُوا: يا رسولَ الله! إنَّ لنا في البَهائمِ أَجْراً؟

فقال: «في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أَجْرٌ».

وكذلك فقدْ حَذَّرَ الرَّسولُ ﷺ من تَعْذِيبِ الحيواناتِ أو إيذائِها ، مثال ذلك: «عُذِّبتِ امْرأةٌ

في هِرَّةٍ سَجَنَتْها حتى ماتَتْ ، فدخلتِ النَّارَ ، لا هي أَطْعَمَتْها وسَقَتْها ، إذ هي حَبَسَتْها ، ولا هي تَرَكَتْها تأكلُ من خَشاشِ الأرضِ»[1].

لذلكَ لا يَجُوزُ أن يُحمَّلَ الحَيوانُ أكثرَ مِمَّا يستطيعُ ، وإلا دَخَلَ تحتَ التَّهْديدِ.

فقال (إحسان): أحسنتَ أيُّها الصَّديقُ ، وقد قال رسولُ الله ﷺ في ذلك: «إيَّاكُم أن تَتَّخِذُوا دَوابَّكُم مَنَابِرَ ، فإنَّ اللهَ سُبْحانه إنَّما سَخَّرها لكم لتبلغَكُمْ إلى بَلَدٍ لم تَكُونُوا بالِغيهِ إلا بِشقِّ الأَنْفُسِ ، وجَعَلَ لكم الأرضَ ، فعليها فاقْضُوا حاجَتَكُمْ».

وعن عبدِ اللهِ بن مَسْعودٍ رضي اللهُ عنه قالَ:

«كُنَّا مع رَسُولِ الله في سَفَرٍ ، فانْطلَقَ

---

(١) خشاش الأرض: أي هوامها ، وما فيها من الحشرات.

لحاجَتِهِ ، فَرَأينا حُمَّرةً معها فَرْخانِ ، فَأَخَذْنا فَرْخَيْها ، فجاءتِ الحُمَّرةُ ، فجعلتْ تُعرِّشُ ، فلمَّا جاء رسولُ الله قال: «مَنْ فَجَعَ هذه بولدِها؟ رُدّوا وَلَدَها إليها» ورأى قريةَ نمْلٍ أَحْرَقْناها ، فقال: «مَنْ أَحْرَقَ هذه؟».

قُلْنا: نحنُ ، قال: «إنَّه لا يَنْبَغِي أن يُعَذِّبَ بعذابِ النَّارِ إلا ربُّ النَّارِ».

إنَّه أَمْرٌ عَجَبٌ!!

وقامَ (أبو أنس) إلى خِزانةِ الكُتُبِ ، وأَخْرجَ منها كِتاباً ، ثم فَتَحَهُ ، وقَرأَ فيه ما يلي:

اعتبرتِ الشَّريعةُ الإسْلاميَّةُ الحِفاظَ على سَلامةِ الحَيَواناتِ والنَّباتاتِ وكُلِّ ما له علاقةٌ بالإنسانِ ، اعْتَبرتْهُ جُزءاً من التَّقرُّبِ إلى اللهِ تعالى.

وقُدْوَتُنا في ذلك رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وقد وَرَدَ في سِيْرتهِ الطَّاهرةِ أَنَّه كان يُمِيلُ الإناءَ للهرَّةِ في بَيْتِه لِتَتَمكَّن من ريِّ ظَمَئِها.

وكان صلواتُ اللهِ عليه يَدُقُّ الشَّعِيرَ لِبَغْلتِه (دُلدل) حينما سَقَطتْ أَسْنانُها وكُفَّ بَصَرُها!!

وعلى هَـذا المِنْـوالِ سـار الرَّعِـيـلُ الأوَّلُ من الأمَّةِ ، فذلكُم عمرُ رضِيَ اللهُ عنه يَرَىٰ رَجُلاً يَسْحَبُ شَاةً من رِجْلِها لِيَذْبَحَها ، فَنَهَره وقالَ له: ويلكَ يا هذا! قُدْها إلى الموتِ قَوْداً جَمِيلاً.

مِنْ هُنا قرَّرَ الفُقَهاءُ أنَّ نَفَقَةَ الحيوانِ واجِبةٌ على مالِكِه! وإذا لجأتْ هِرَّةٌ إلى بيتِ شَخْصٍ وَجَبتْ نَفَقَتُها عليه ؛ حتَّى تَقْدِرَ على الانْصِرافِ! وبالتَّالي أُنْشِئَتِ الأوقافُ الخَيْريةُ للكلابِ الضَّالةِ ونحو ذلك!!

من سُنَنِ اللهِ في الكَوْنِ!!

وطُرِقَ البابُ ، فَفَتَحَ (أيهمُ).. فوجدَ على بابِ البيتِ ابنَ خالته (أسعد) ، فرحَّبَ به ، وأَدْخَلَهُ إلى الصَّالُونِ ، وعَرَّفَه بأَصْدِقائِه..

ثمَّ قالَ له على الفَوْر: لقدْ كُنَّا بحاجةٍ إلى واحدٍ مُتَخَصِّصٍ بأمورِ البيئةِ ، وها قَدْ أرْسَلَكَ اللهُ إلينا.

قالَ (أسعدُ): فما هو مِحْورُ حَدِيثِكم؟

قال (أيهمُ): نحنُ نتكلَّم عن مسألةِ الرِّفْقِ بالحيواناتِ وضَرُورةِ الحِفاظِ عليها..

فقال (أسعدُ) ـ وقد أَخْرجَ من مِحْفَظَتِه دَفْتراً صَغِيراً ـ: آخرُ ما قرأتُ في مسألةِ تأثيرِ الإنسانِ المُعاصِرِ على عالمِ الحَيوانِ هذا الخَبَر:

في إحْدى السَّنواتِ اشْتَكى فلاحُو إحدى الولاياتِ المتَّحدةِ الأمريكيَّةِ من فَتْكِ الطُّيورِ الجارحةِ (البوم والصُّقور) بصِغارِ الدَّجاجِ.

فأصدرتِ الحُكومةُ قانُوناً يَقْضِي بقتلِ واصْطِيادِ هذه الطُّيور ، حتَّى أمكنَ القَضاءُ على نحو (١٢٥) ألف طائرٍ من هذه الطُّيورِ في خِلالِ (١٨) شهراً.

وكانتِ المُفاجأةُ التي أعقبتْ حَمْلةَ الصَّيدِ الجائِرةَ هذه هي ظُهُورَ مُشْكلةٍ أُخْرى أَعْقدَ من السَّابقةِ ، تمثَّلتْ في ازْديادِ عَدَدِ الفِئْرانِ والجُرْذانِ زيادةً مُخِيفةً ، إلى الحَدِّ الذي أحدثتْ من خِلالِه أَضْراراً بالغةً بالمَحَاصِيلِ الزِّراعيَّةِ ، تَفُوقُ قيمةَ الدَّجاجِ الذي تمَّتِ المُحافظةُ عليه أَضْعافاً مُضاعفةً.

وذلكَ لأنَّ الصُّقورَ والبُومَ لم تَكنْ تَغْذِيَتُها مَقْصُورةً على الدَّجاجِ ، وإنَّما كانتْ تَشْتَمِلُ على تلك الحيواناتِ أيضاً!!

أجلْ! فالتَّوازنُ العَجِيبُ في هذا الكَوْنِ يدخلُ ضِمْنَ الدِّقَّةِ والتَّنْظِيمِ الذي لا مَثِيلَ له:

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾

[لقمان: ١١].

وتابَعَ (أسعدُ) القولَ:

وما أكثرَ الحَيواناتِ المُهدَّدةِ بالانْقِراضِ ، وذلك نتيجةُ الجَشَعِ والطَّمعِ في بَيْعِ جُلودِها أو أسْنانِها أو قُرونها أو أَوْبارها ، ولنضربْ بعضَ الأَمْثلةِ على ذلك.

النّسرُ البديعُ ، والضِّفدعةُ الشجريةُ الذَّهبيةُ ، والكتزل (طائرٌ بديعُ الرِّيشِ من طُيورِ

أمريكا الجَنُوبية) والفَراشةُ الرَّائعةُ (كوين الكسندرا) والثِّيرانُ الأمريكية ، والتيتل الأسودُ الجَبَّار ، والفِيلةُ و.. ، وكلُّها حَيواناتٌ أصبحتْ نادرةً جداً.

ومثلُ ذلك يُقالُ عن الحَيواناتِ البحريةِ ، وممَّا يُؤْسَفُ له أنَّ السَّببَ الرَّئِيسيَّ لموتِ تلك الحيواناتِ ، هي النِّفاياتُ التي تُرْمَى على شَواطِئِ البحارِ والمُحِيطاتِ ، أو تُلْقَى فيها ، إضافةً إلى بُقَعِ النِّفْطِ ، وإلى الإفْراطِ في صَيدِ الأَسْماكِ والحِيْتانِ...

فهلْ تَعُودُ النَّتائجُ إلا على الإنسانِ؟!

تَبادُلُ المَعْلُوماتِ بين عالمِ الإنْسانِ وعَالمِ الحَيَوانِ!!

سألَ (أمجدُ): فماذا يَسْتفيدُ الإنسانُ من

الحَيواناتِ ، غير الأَكْلِ والصُّوفِ وهذه القَضَايا المَعْروفة؟

أجابَ (أسعدُ): كلَّما عَرَفْنا أكثرَ عن عالمِ الحَيوانِ كُلَّما اسْتَفَدْنا أكثر ، ولأَضْرِبْ بعضَ الأمثلةِ التَّوضِيْحيَّةِ:

في الفَتْرةِ الأَخِيرةِ تمَّ اكتِشافُ أكثرَ من مليون نوعٍ من الحَيَواناتِ ، منها مليونُ حَشَرةٍ على الأقلّ ، وازدادَ الاهْتِمامُ بدراسة السُّلوكِ الحَيَواني ، وكان من نتائجِ ذلك كُلِّه أن تَعرَّفَ الإنسانُ على بعضِ الأمورِ المتعلِّقةِ بعالمِ الحيواناتِ.

فَسَمَكُ اللتش مثلاً لا يُخْطِئُ في عملياتِ التَّنبُّؤ بالطَّقسِ أكثرَ من (٣ ـ ٤٪) ، فإذا كان سمكُ اللتش مُسْتَلْقِياً بهدوءٍ على قاعِ النَّهرِ ، فهذا يَعْنِي أن الصَّحو سيستمرُّ ، أما إذا بدأ

يندفعُ بقوَّةٍ وقَلَقٍ في المكانِ فيجبُ أن نتوقَّعَ هُطُولَ المطرِ!!

وهكذا عندما يحدثُ زلزالٌ أو هزَّةٌ أَرْضيَّةٌ ، فإنَّ الحَيَواناتِ والزَّواحفَ والطُّيورَ تُغادِرُ ذلك المكانَ قبلَ أيامٍ!!

وهَكَذا في مَسائِلِ الطَّيرانِ.. وهكذا في قَضَايا التَّأقْلمِ مع المُناخِ.. وهكذا في مَسائِلِ الأُمومةِ.. فهلْ نَسْتَفِيدُ من عالمِ الحيوانِ أكثر وأكثر؟!

إرْشاداتٌ لِلْجَميعِ

وخُتِمتِ الجلْسةُ بِبعْضِ التَّوصياتِ والإرْشاداتِ ، منها:

١ - يجبُ المُحافَظَةُ على نَظافةِ الحَيَواناتِ ، ومُراقبةُ صِحَّتِها..

٢ ـ لا يَجُوزُ تَعْذيبُ الحَيواناتِ أو الاعْتداءُ عليها ، بل يجبُ حِمايَتُها ، وتَوْفِيرُ الأمانِ والاسْتِقْرارِ لها ، لتكونَ سليمةً صَحِيحةً.

٣ ـ يجبُ الاهْتِمامُ بكلِّ أَنْواعِ الطُّيورِ والأَسْماكِ والحَيواناتِ ، وخاصَّةً تلك المُهدَّدة بالانْقِراضِ.

٤ ـ يجِبُ الاهْتمامُ بهذه المسائلِ ، وخاصَّة في برامجِ الأَطْفَالِ التي يَبُثُّها التِّلفازُ ، وذلك ليتعرَّفَ الأطفالُ على العلاقةِ بين الحَيَواناتِ وبين البَشَرِ.

٥ ـ يجبُ المُساهمةُ في التَّوعيةِ لكلِّ شرائحِ المُجْتَمَع فيما يتعلَّقُ بأمورِ البيئةِ ، وإلا فنحنُ مُهَدَّدُونَ بِمُشْكلاتٍ بيئيةٍ مُسْتَعْصِيةٍ.

قال (أسعدُ): فإذا نَجَحْنا في الوصُولِ إلى بيئةٍ سليمةٍ ، معنى ذلك أنَّنا فُزْنا بكلِّ ما هو مُفِيدٌ لنا ، في دُنْيانا.. وبعد مُنْقَلِبنا إلى اللهِ..

والحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ